كلمة اللجنة التيموريـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

هـــذا الكتاب

بقلم الكاتب الأديب الأستاذ عبد السلام شهاب

المحرر بالأهرام وعضو اللجنة

قصة هذا الكتاب كل كتاب أخرجته إلى القراء فى الوطن العربى لجنة نشر المؤلفات التيمورية.

فهناك بين المؤلفات العديدة التى خلفها ـ بخطه ـ المغفور له العلامة أحمد تيمور «باشا» وجدت اللجنة مجموعة من ست وستين كراسة كبيرة الحجم ضمنها ـ أجزل الله مثوبته ـ طائفة كبيرة مما تخير من كنوز اللغة والفن والأدب فى مطالعاته الدائبة الفاحصة الواعية فى مئات الكتب والمراجع القيمة، مطبوعة ومخطوطة.

وقد رتب المؤلف هذه المواد المتخيرة فى سبعة أبواب، اشتمل كل باب منها على بيانات دقيقة مرتبة، لم تترك شاردة ولا واردة مما يتعلق بموضوعها ألا قيدتها، وأسندتها إلى المرجع الذى أخذت منه، مع تحديد بالأرقام لموضع هذا المرجع فى مكتبته الزاخرة النادرة، ليسهل الرجوع إلية لكل راغب فى المزيد.

وهذه المكتبة آلت من بعد المؤلف آلى دار الكتب فى القاهرة هدية من أسرته العريقة الكريمة، ليكون النفع بها أعم وأشمل.

وحرص المؤلف، بجانب ذلك، على تحديد مراجع أخرى كان يعتزم أن يرجع إليها ليضيف مما يعلمه فيها إلى البيانات آلتى سجلها فى تلك الكراريس ولكن المنية عاجلته فانتقل إلى رحمة الله قبل أن يسجل هذه الإضافات. ولذلك حرصت اللجنة ـ بدورها ـ على تنفيذ رغبته هذه، وقامت بتسجيل الإضافات التى أشار أليها متحرية منتهى الدقة والتقيد بما رسمه من نهج واضح مستقيم.

وأول أبواب الكتاب السبعة، خصصه المؤلف لمباحث والبيانات المتعلقة بخلق الإنسان وصفاته. وفية نقول مفيدة عن اختلاف ألوان الناس، وما قيل فى ذلك من شعر ونثر فى مختلف العصور.

ومن اطرف هذه النقول قصيدة فريدة فى «معنى العين» للعلامة أحمد السجاعى، المتوفى سنة ١١٩٥هـ. وهى ـ كما وصفه المؤلف ـ غريبة فى فنها، واحتوت على معان فى لفظ العين، لاشك فى فائدتها الكبرى للأدباء والمتأدبين.

وكذلك حوى هذا الباب تحقيقات لغوية لكل أعضاء الإنسانية ولما يمدح أو يذم من صفاته واخلاقه واعاداته، ومقتطفات طريفة مما قال فيها القدماء والمحدثون من أكابر الكتاب والشعراء.

وخصص الباب الثانى للأطعمة والآشربة، وما يتصل بها من أدوات وتقاليد وعادات فى مختلف العصور والبلاد.

وفيه إحصاء لألوان عديدة منتقاة من الأطعمة، عربية وتركية ومغربية وغيرها. مع تفصيل لطريقة صنع كل منها، ومقطاعات شعرية مما قيل فى وصفها. وفيه كذلك إحصاء لألوان مختلفة من ألا شربه آتى ذاعت شهرتها قديما وحديثا. ويتخل ذلك كله مختارات رائعة مما قيل غى وصف الموائد ومجالس الشراب، ونوادر الندماء. وعرض دقيق أمين لآراء كثير من أئمة الفقه والحديث وغيرهم من العلماء الأجراء فى الخمر والنبيذ وما أليهما من أنواع المكسرات.

ومن أمتع النوادر التى ساقها المؤلف فى هذا الباب، لمناسبة الحديث عن التطفل والطفيليين، قصة أثبتها كما رواها بنفسه بطلها الطفيلى المشهور «بنان» عن دعوته الى مائدة صديق له مع جماعة من التجار.

وخصص الباب الثالث للفاكهة والنقل وما يتصل بهما، وفيه تفصيلات علمية من أنواعهما الكثيرة المختلفة، ومزاياها الغذائية، وعن البلاد والأصقاع التى تجود فيها أشجارها بأطيب الثمرات. ومعها منتجات مما جادت به قرائح الأدباء فى وصف الأشجار والثمار، وطرائق من النوادر والقصص وغرائب الأشعار.

أما الباب الرابع، فخصصه المؤلف للزهور والورود والرياحين. وفصل فيه أنواعها وأسماءها ومزايا كل منها، أورد كثيرا من أحاديث العلماء المتخصصين عما استنبطوه منها، وطرائق مما قيل من روائع الشعر والنثر، مع تاريخ علمى دقيق لأنواع مستحدثه منها، وأحاديث ممتعة عن بعض هواتها المشهورين.

وخصص الباب الخامس للحلى والزينة والطيب، وأنواعها فى عصور وبلاد مختلفة، وما أثر فى التزين والتطيب عن نخبة من المشهورين والمشهورات. مع تفصيل لأنواعها، وتحقيقات علمية وتاريخية عن العنبر وأصلة، وسمكته المسماة بالبال. وعن العود وأنواعه، وصفته كل نوع منها ومزاياه، وعن أنواع العطور المستعملة فى العصر القديم والعصر الحديث، وأنواع الأشنان والصابون، وطرق صنعها، وما نسب منها إلى بعض الخلفاء والملوك فى العهود الإسلامية المتقدمة. وهذا عدا تحقيق لغوى لاسم كل حلية، وتحديد لطريقة التحلى بها، وتحقيقات تاريخية لأنواع الخواتيم آلتى كان الخلفاء يتخذونها لأنفسهم، ولما كان ينقش عليها من الشعارات.

وخصص الباب السادس للألوان والأصباغ. وفيه نقول عديدة مفيدة عنها كثير من العلماء والأدباء القدماء والمحدثين.. من حيث الألوان، وخصائصها، وتحليها، وترتيبها.. وما إلى ذلك من أسرار طبيعية وكيميائية، مستقاة من أوثق المصادر وكبار أهل الذكر والاختصاص.

وأما الباب السابع والأخير، فخصص لآلات الطرب وأصوات الغناء وأنواع الألحان والإيقاع والرقص وما يتعلق بها من مختلف الفنون والصناعات.

وقد توسع المؤلف ـ أوسع الله له فى رحمته ورضوانه ـ فيما جمع فى هذا الباب من أسماء الأنغام وأجناس الغناء، ومن الأغانى الأفريقية، والأنغام الهندية، مذكورة بأسمائها، مشروحة معانيها، وأفاض فى الحديث عن الأصوات عامة، وما اشتهر منها لبعض عباقرة الملحنين والمغنين كأصوات معبد، وإبراهيم الموصلى. كما تحدث عن حزب الموصلى، وحزب إبراهيم بن المهدى. وعرض آراء كبار النقاد الفنيين القدماء فى الغناء وأربابه.

ومن ذلك قول مالك بن أبى السمح : سألت ابن أبى إسرائيل عن المصيب من المغنين فقال :

ـ هو الذى يشبع الألحان، ويملا الأنفاس، ويعدل الأوزان، ويفخم الألفاظ، ويقيم الأعراب، ويستوفى النغم الطوال، ويحسن مقاطع النغم القصار، ويصب أجناس الغناء، ويختلس مواضع النبرات، ويستوفى ما يشاكلها من النقرات.

فعرضت ما قاله على معبد فاستحسنه وقال: ما يقال فيه أكثر من هذا.

ثمَّ يعقب المؤلف على هذا منبها إلى أن هذه المقالة رويت عن ابن سريج. وينتقل من ذلك إلى الحديث عن رأى إبراهيم الموصلى فى أن الغناء على ثلاثة أضرب، وعن أول من اشتهر بالحداء، واختلاف العلماء فى الغناء. وساق ما روى عن لسان أحد قدماء المغنين من أنه كان يحتاز فى الطريق يوما ورفع عقيرته مغنيا :

مـــا بـــال أهلـــك يـــاربـــاب جـــزرًا كـــأنهم غـــضـــاب

فإذا شيخ أحمر اللحية يطل عليه من كوة فى داره، ويعاتبه على أنه أقلق مضاجع الناس وأفسد اللحن، ثم يسمعه اللحن صحيحا، بصوت ليس كمثله عذوبة وصفاء وأخذا باللب. فلما أتم الشيخ الغناء، استعاده المغنى، فضحك الشيخ ورفض قائلا :

ـ كلا. أتريد أن تقول أخذته عن مالك ؟

وهنا أدرك الرجل أن صاحبه الشيخ مصحح اللحن هو الإمام مالك !

كذلك روى المؤلف رحمه الله ما قيل من أن أبا يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة كان يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء.

وإلى جانب هذا كله، ساق المؤلف مختارات بديعة مما قيل فى الغناء، ووصف القيان المغنيات، وما قيل من أن إبراهيم بن المهدى أول من أفسد الغناء القديم، وتحدث عن رقص القيان، وآلات الطرب، وأنواع الألحان. وأثبت رسائل نادرة فى علم الموسيقى، بعضها منظوم، وبعضها منثور.

ومن هذا الرسائل النادرة رسالة فى علم الموسيقى، وأخرى فى رسوم النغم وأسمائها، وثالثة اسمها «الدار المنتخبات المنثوره»، ورابعه فى علم النغمة. وهذا عدا

تلخيصات فى الموسيقى علما وفنًا عن «المقامات الجلالية الصفدية» وعن «الموسيقى والكلام فى أصلها». و«الأنغام وأصلها». وحديث ضاف واف عن المخطوطات الموسيقية، وتحقيق طريف بقلم هنرى جورج فارمر عن أعمال الجمعية الأسيوية الملكية، وترجمة عربية دقيقة لأكثر المصطلحات الموسيقية كالاصطحاب و التأليف و امتزاج الأصوات، و تنافرها، و الدساتين، و الأبعاد و غيرها. من اجل ذلك كادت اللجنة تخرج كتابا مستقلا بما تضمنه هذا الباب وحده؛ واثقة من جدير بأن ينال رضا القراء. بما حشد له المؤلف من ثمرات اطلاعه الواسع الغزير. وملاحظاته وتعليقاته الدالة على ثاقب فكرة وتمكنه كل التمكن فى اللغة والتاريخ وغيرهما من مختلف العلوم والآداب والفنون.

وكان مما قرَّرته اللجنة إذ همت بإخراج هذا الكتاب الذى بين أيدى القراء أن تلحق به فهرسا بالمراجع وآخر للأعلام الورادة فيه ولكن لم يكن بد من التضحية بالفهرسين. كما يخرج الكتاب كامل الأبواب فى حجمه الذى يراه القراء.

وعلى أنه لا يفوتنا أن نشير إلى ما أثبته المؤلف الفاضل من المراجع والأصول فى صفحات الكتاب، عقيب أكثر مواده. ومن بينهما أمهات كتب اللغة والتاريخ والأداب والفن وغيرهما كاللسان وصحاح الجوهرى، وشوارد اللغة من رسائل الصاغانى، وما يلحن فيه العامة، والفروق للعسكرى، والأغانى للاصبهانى وكامل المبرد، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وآمالى القالى، والحيوان لجاحظ وهمع الهوامع، وشفاء الغليل، وما يعول عليه، واليتيمة للثعلبى، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف، والموشى، وبدائع الفوائد، وديوان الصبابة، والذيل على الروضتين، والمهج لابن جنى، ومحنة الأديب، والسيرا على سيبويه، والرياض المريعة للبيهقى، وابن بطوطة، والجيرتى، والنجوم الزاهر.

وهذا عدا ما أثبته رحمه الله من تحقيقات لزملائه وصحابته من العلماء المعاصرين له فى مختلف أنحاء الشرق والغرب، وعدا تحقيقاته اللغوية والتاريخية الخاصة، وما أكثر التنبيه إليه من العلاقات بين بعض المفردات والمصطلحات العربية الخاصة، وما يشبهها فى التركية والفارسية وغيرها من اللغات الأجنبية، وما هو قريب منها فى لغة العامة،

كتعقيبه ـ مثلا ـ على كلمتى صحصح وصحصوح بمعنى : المتتبع لدقائق الأمور فيصحبها ويعدها بقوله : لعل قول العامة «مصحصح» منه .

وأخيراً ، تترك اللجنة للقراء أن يقدروا بأنفسهم مدى ما بذله المؤلف من الجهاد والوقت والمال فى سبيل جمع هذه المصادر واستيعاب محتوياتها ، واستخراج كنوزها ، ثم جمعها وتنسيقها وتقدمها لهم سائغة خالصة من كل شائبة ، لا يريد بذلك الا ثواب الله جل شأنه وإشباع رغبته فى تحصيل العلم والنفع به الى أوسع الحدود .

وإن اللجنة لتنهز هذه الفرصة لتزجى شكرها جزيلا خالصا إلى كل من عاونها على أداء رسالتها فى نشر المؤلفات هذا العالم البحاثة المحقق الكبير ، والى لقاء قريب فى كتاب جديد ، تخرجه مما بقى من مؤلفات ، والله المستعان وهو ولى التوفيق ، ،

عبد السلام شهاب